

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 4 (2009) : 36 - 52
www.univ-ghardaia.dz/index.php/dz/component/content/article?id=130

إعداد الإشكالية وأهميتها في ضمان جودة البحث

أ/ سليمان بلعور
أ/ عبد الرحمن بن سانية
جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة

يعتبر إعداد البحوث العلمية من الأمور التي تكتسي أهمية بالغة لدى الطالب الجامعي على الخصوص، إذ يمكن القول أنه قبل المرحلة الجامعية لا يمتلك الطالب المعارف اللازمة ولا الوقت ولا الوسائل للقيام ببحث علمي بالمعنى الصحيح للكلمة. وبالمقابل فإن البحوث التي يقوم بها الطالب في هذه المرحلة هي في بادئ الأمر عرض لبحوث سابقة أو تجارب جزئية لتطبيق مفاهيم معينة, ويكون الهدف منها ليس المساهمة في تقدم المعارف العلمية، وإنما تقدم وتطور معارف الطالب، لأنه لا يتصور إعداد بحوث علمية تساهم في التقدم دون التحكم في النظريات والأدوات اللازمة لذلك.

ولعل العقبة التي يواجهها الكثير من الطلبة بل ويتخوفون منها عند إعداد البحوث التي يكلفون بها هي طرح إشكالية للعمل الذي يقدمونه، ذلك أن هذا الأمر هو أول ما سيكون محل انتقاد لهم، والغريب أن بعض الطلبة يبدأ في البحث عن الإشكالية بعد الانتهاء من كتابة البحث، مما يشير من جهة إلى أن الأمر بالنسبة لديه مجرد إجراء إلزامي تفرضه منهجية البحوث, وإلى الجهل بأهمية الإشكالية في إعطاء البحث جودته, من جهة أخرى.

من هنا تبرز أهمية موضوع هذه المداخلة التي تركز على خطوة رئيسية من خطوات البحث العلمي، بها يكون مُنطَلَقُه، وعليها تتوقف جودته وأهميته، هذه الخطوة هي إعداد الإشكالية وما يستتبعه من أثر على سيرورة البحث وضمان توجيهه إلى الوجهة الصحيحة التي تعطيه قيمته الإضافية المميزة، وتضمن فائدته في تقدم البحوث حول الموضوع الذي عالجه.

إن الإشكالية التي يحاول هذا المقال معالجتها: كيف يؤثر إعداد الإشكالية في جودة البحث العلمي؟

1. أهمية الإشكالية في إعطاء البحث العلمي أهميته كأساس للتقدم:

غَنِيٌ عَن البيان أن البحث العلمي . باعتباره "وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام خطوات المنهج العلمي, واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات."[1] . يكتسي أهمية قصوى في حياة الأمم وحضارات الشعوب، إذ يعتبر معبر الإنسانية من التخلف والعشوائية إلى التنمية والتخطيط، وما بلغت الدول المتقدمة اليوم المكانة التي هي عليها إلا لأنها أولت رعاية بالغة للبحث العلمي ومناهجه باعتباره الركيزة الأساسية نحو الانطلاق والتقدم.

إن البحث العلمي ما كان ليأخذ هذه المكانة الكبرى كأساس لتقدم المعارف وتطور الإنسانية لولا أنه في الأصل "نشاط لحل المشاكل" " activité de résolution des problèmes" التي تعترض الإنسان ويشكل تفسيرها خطوات لتقدمه نحو الأفضل. من هنا ندرك أنه بقدر ما كانت مشكلة البحث نوعية وجيدة بقدر ما كان البحث جديا وهاما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن إشكالية البحث باعتبارها ترتكز في الأساس على المشكلة المدروسة، يعتبر إعدادها أخطر الخطوات في البحث على الإطلاق وأهمها في مجال البحث العلمي، حيث تعتبر السؤال الجوهري . كما يرى ميشال بو M. Beaud الذي إذا لم يتمكن الباحث من ضبطه وشرع في إنجاز البحث فإنه سيقع حتما في مشكل تغيير السؤال في كل مرة وينتهي به الأمر إلى البعد بشكل واضح وبعيد عن الموضوع الذي انطلق منه، والتوقف عن الاستمرار في البحث بالنتيجة.[2]

إن الإشكالية التي يختار الباحث معالجتها تعتبر عاملا يؤثر على كل سيرورة البحث، وعليها يتوقف نجاح البحث في جزئه الأكبر, ذلك أنها تضع الباحث منذ البداية أمام رهانات الموضوع[3]، لذلك فإن اختيار إشكالية البحث ليس من الأمر السهل كما يبدو

للوهلة الأولى، بل الأكيد أن تقييم نوعية البحث بعد الانتهاء منه والحكم على مدى ثرائه أسهل بكثير من مباشرة البحث والبدء فيه.[4]

2. الإشكالية كمرحلة من مراحل البحث العلمي: يتطلب إعداد بحث علمي اتباع جملة من الخطوات المترابطة تتمثل أساسا فيما يلي:

– اختيار مشكلة البحث وتحديدها بدقة – صياغة الإشكالية – وضع الفرضيات – اختيار منهج البحث – جمع المعلومات حول مجتمع الدراسة ثم تحليلها – اختبار صحة الفرضيات – التوصل إلى النتائج.

بذلك يتضح أن الإشكالية باعتبارها تستند إلى مشكلة البحث كما أشرنا إليه سابقا (وكما سنفصل الكلام عنه في العنصر الرابع) تعتبر المحور الذي يدور عليه البحث العلمي والذي تُرتهن نتائجُه به، فكلما كانت الإشكالية جيدة كانت انطلاقة جيدة لبحث ذي قيمة علمية جيدة, وذلك شريطة تمكن الباحث من دراسة هذه الإشكالية والإجابة عنها بطريقة منهجية محكمة.

2–1 اختيار مشكلة البحث وصياغة الإشكالية كأخطر مرحلة من مراحل البحث العلمي:

أ– اختيار مشكلة البحث وتحديدها بدقة: إن البحث الذي يبدأ من فراغ لا ينتهي إلا إلى فراغ[5]، لذلك فإن اختيار مشكلة البحث وتحديدها بدقة يعتبر أول وأخطر مرحلة من مراحل البحث العلمي، ذلك أن المشاكل كثيرا ما تتشابك وتتعقد وتختلط بالظواهر العامة، وبالتالي فإن أسبابها الحقيقية لا يمكن التعرف عليها إلا بنوع من التشخيص الدقيق.[6]

إن التوصل إلى مشكلة نوعية للبحث لا يتأتى إلا بقيام الباحث بقراءات عميقة وواسعة تلفت انتباهه إلى وجود مشاكل لم تستوف حقها بعدُ من التفسير والبحث، أو مشاكل لم يتم البحث فيها أصلا، وهذا ما يسمى مرحلة "الشعور بالمشكلة" مع ملاحظة أن ذلك لا يلغي أن الحياة العملية تتضمن العديد من المشاكل التي لم يتم وضع حلول أو إيجاد تفسيرات لها، ولكن التعرض لمثل هذه المشاكل يتطلب امتلاك الباحث مقدرةَ التأمل والملاحظة الدقيقة، وهي ملكة تتطلب الكثير من التدريب والقراءة المعمقة التي

تنظر إلى الاستنتاجات نظرة نقدية فاحصة.

بعد مرحلة الشعور بالمشكلة ينبغي تحديدها تحديدا دقيقا، ويتوقف ذلك على مدى عمق الباحث في فهم المشكلة وسعة اطلاعه على البحوث العلمية السابقة التي أجريت على مشكلة مشابهة، مما يمكنه من الاستفادة من الخبرات السابقة واجتناب أخطائها أو استكمال ما ورد فيها من نقص.[7] إن التحديد الجيد لمشكلة البحث يستدعي من الباحث تقديم إجابات لمجموعة من الأسئلة أهمها:[8]

- **هل معرفتك الحالية حول مشكلة البحث متأتية من ملاحظاتك فقط أم هي معرفة موثقة؟**
- **هل تود فقط الكتابة حول الظاهرة وتحديد جوانبها الخاصة، أم تهدف إلى إعداد علاقات بين هذه الجوانب (المتغيرات)؟**
- **ما هي جوانب الظاهرة التي درست سابقا من طرف باحثين آخرين ؟**
- **هل توجد نظرية اقترحت تفسيرات لهذه الظاهرة التي تهمك؟**
- **في تقارير البحوث السابقة التي اطلعت عليها هل تبين لك وجود جوانب في الظاهرة لم تُعط الأهمية الكافية؟**
- **هل يهدف بحثك إلى تطبيق منهجية جدية أو أعمق من البحوث السابقة، أم يهدف إلى دراسة جوانب جديدة في الظاهرة؟هل تفضل القيام ببحث كمي أو بحث كيفي وما مدى قدرتك على إنجاز ما تختاره منهما؟**

بقي أن نشير إلى أن موضوع البحث في بداية اختياره يكون متميزا بالعمومية والانفتاح, ولكن يبدأ في الانحصار والاتجاه نحو التحديد بدقة بالمطالعة والتشاور مع ذوي الاختصاص, وبالخبرة والممارسة أيضا, ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي:

الشكل رقم 01: مسار اختيار مشكلة البحث بداية من العمومية والانفتاح إلى التحديد والتدقيق

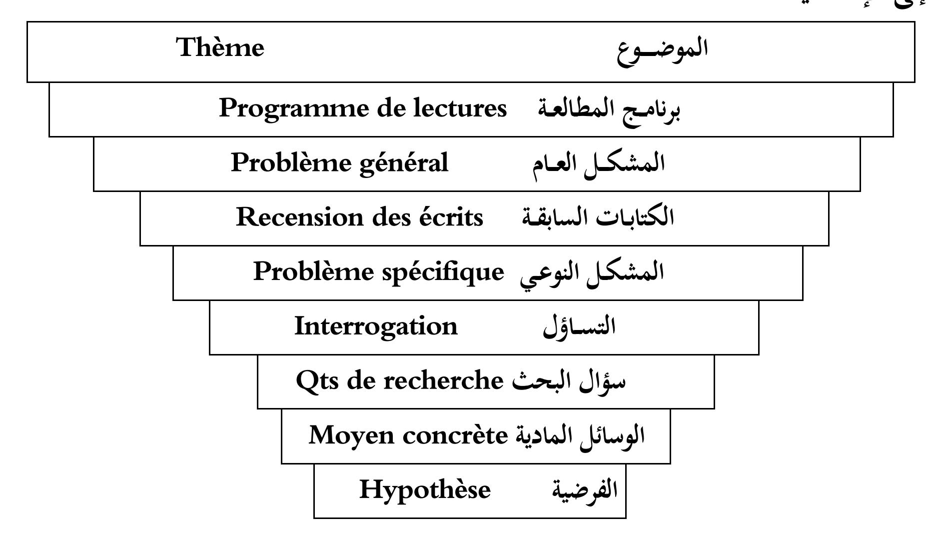
الخبرة والممارسة والتشاور مع ذوي الاختصاص

بداية اختيار لا تمتاز بالتحديد   التوجه نحو التحديد والدقة مع الزمن   تحديد الموضوع

المصدر: نبيل أحمد عبد الهادي، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، الأهلية للنشر والتوزيع،الأردن،ط1، 2006،ص:32

إن هذا التصور يؤكده طرح Andréée Lamoureux (1995) الذي يرى أن تساؤل البحث ينتقل من العام إلى الخاص، من المجهول إلى المعلوم، من الأفكار العامة إلى المفاهيم المحددة, والمنطلق في ذلك هو جمع الباحث كل ما يمكنه جمعه حول الموضوع، ثم يبدأ في استبعاد المعلومات التي يحكم بعدم ملاءمتها لبحثه مما يستلزم البدء في تضييق مجال البحث، وهذا ما يوضحه الشكل التالي:

الشكل رقم 02: تصور Andréée Lamoureux لاختيار مشكلة البحث والتوصل إلى الإشكالية



Source : Donald Long, Définir une problématique de recherche, Mars 2004, p :12.

ب- أسس اختيار مشكلة البحث:

- **أن تثير اهتمام الباحث، ويشكل هذا الأساس أحد المحفزات للبحث وضمانات إنجازه بكيفية جيدة.**
- **أن تكون المشكلة نوعية وجيدة**
- **أن تكون قابلة للبحث فيها, حيث توجد العديد من المشكلات ذات الطبيعة الفلسفية التي تناقش عقليا ويصعب حلها عن طريق أدوات موضوعية**
- **أن تتوفر المعلومات والحقائق الكافية عنها**

ج- صياغة إشكالية البحث: بعد اختيار مشكلة البحث وتحديدها بدقة بالاستناد إلى الأسس المذكورة يأتي دور صياغة الإشكالية, حيث لا يكفي مجرد إحساس الباحث بالمشكلة أو حديثه عنها، بل لابد بعد ذلك من صياغتها في شكل إشكالية (سنتطرق إلى مراحل إعداد الإشكالية لاحقا في النقطة الخامسة من هذا المقال) تتضمن عبارات لغوية بسيطة ودقيقة في آن واحد، وتعبر عن المشكلة تعبيرا واضحا يحيط بأبعادها , ويتسم في الوقت ذاته بالموضوعية وقابلية القياس.

3. مواصفات الإشكالية الجيدة:[9]

أولاً- صفة الوضوح والدقة: إن إشكالية البحث يجب ألا تكون مبهمة أو غير عملية، فلو طرح أحد مثلا إشكالية "ما هي آثار الإصلاحات على حياة المواطن الجزائري؟" فإن هذا السؤال يبدو واسعا جدا وغامضا في الوقت ذاته، فعن أي إصلاحات نتكلم هل الإصلاحات الاقتصادية أم الاجتماعية أم السياسية أم الثقافية...الخ، وعن أي جانب من حياة المواطن الجزائري سوف نتكلم: هل الحياة المهنية أو العائلية أو عن كل جوانب الحياة؟ .... إلى غير ذلك من التأويلات الممكنة لهذا السؤال. إذن فقدرة الباحث على المعالجة الجيدة للإشكالية تتوقف على وضوحها ودقتها.

ثانيًا– صفة الواقعية: وهي تتعلق بإمكانية إنجاز البحث بالأخذ بعين الاعتبار قدرات الباحث والموارد المتاحة لديه لمعالجة الموضوع، والوقت المتوفر له أيضا. فعلى الباحث قبل صياغة الإشكالية أن يتأكد من توفر هذه الجوانب حتى لا يقع في معالجة سؤال صعب يتطلب زمنا طويلا وموارد تتجاوز إمكانياته المادية مما يضطره إلى التوقف عن البحث وبالتالي ضياع الوقت والجهد.

ثالثًا– صفة النجاعة: تشير هذه الصفة في جانب من جوانبها إلى نوايا الباحث في فهم ما هو موجود بغية توضيحه واستخلاص بعض القواعد التي تتحكم في الظاهرة، وبالتالي فإنه لا يصح للباحث أن ينطلق في وضع إشكاليته بناء على أحكام مسبقة بغية تأكيدها. من جهة أخرى, ينبغي على الباحث أن يدرك وهو بصدد صياغته للإشكالية أن المشاكل كثيرا ما تتشابك وتتعقد وتختلط بالظواهر العامة، وبالتالي فإن أسبابها الحقيقية لا يمكن التعرف عليها إلا بعد نوع من التشخيص الدقيق، تماما مثل ارتفاع درجة حرارة المريض، فهي لا تمثل المشكلة في حد ذاتها بل مجرد ظاهرة تعبر عن وجود مشكلة (المرض الذي سبب ارتفاع درجة حرارة الجسم) يجب بحث أسبابها ووصف العلاج الناجع لها, ومتابعة العلاج إلى غاية الشفاء التام. والبحوث العلمية تسير على هذا المنوال، إذ غالبا ما يتم الإحساس بالمشكلة من طرف الباحث بملاحظة نشوء ظاهرة مصاحبة لها أو دالة على وجودها، وهي في الحقيقة لا تعبر عن أصل المشكلة ولا تشكل دراستها حلا للمشكلة.

4– بيان الفرق بين إشكالية بحث ومشكلة بحث: كثيرا ما يُستعمل لفظ "الإشكالية" ولفظ "المشكلة" دون تدقيق وكأنهما من الألفاظ المترادفة, ولكن الحقيقة هي أن بين اللفظين اختلافاً بارزًا ينبغي التنبيه إليه. يرى البعض أن الفرق بين الإشكالية والمشكلة يتلخص في كون المشكلة تتميز بإمكانية الوصول إلى حل يلغيها، مادام المجال الذي تطرح فيه ينتمي إلى الواقع الموضوعي ويقبل نوعا من التجريب، ويصدق في هذا المقام قول ماركس «إن الإنسانية لا تطرح من المشاكل إلا تلك التي تقدر على حلها»، أما الإشكالية فهي كلمة مولدة في العربية كترجمة موفقة لكلمة « **problématique** » ومعناها في الاصطلاح المعاصر " منظومة من العلاقات التي تنسجها داخل فكر معين

(فكر فرد أو فكر جماعة) مشاكل عديدة مترابطة لا تتوفر إمكانية حلها منفردة، ولا تقبل الحل. من الناحية النظرية. إلا في إطار حل عام يشملها جميعا" . بعبارة أخرى : الإشكالية هي النظرية التي لم تتوفر إمكانية صياغتها فهي توتر ونزوع نحو النظرية، أي نحو الاستقرار الفكري.[10]

ولا نتفق مع هذا الرأي في كل الجوانب التي طرحها، فعلاوة على الاختلاف المعروف بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الطبيعية من حيث الإخضاع للتجربة، فإنه ليست كل المشاكل الاجتماعية تصل في نهاية البحوث إلى حل يلغيها، بل غالب البحوث في المجال الاجتماعي تعطي تفسيرا للظواهر (موضوع المشكلة) وأسبابها واقتراحات معالجتها أكثر من إعطاء حل نهائي لها، هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى, فإن المعنى الذي أعطاه هذا الطرح للإشكالية هو معنى نظري عام, وقد لا يتفق في كل جزئياته مع معناها في مجال منهجية إعداد البحوث العلمية، ذلك أن الإشكالية ليس شرطا أن تهدف أو تنزع في كل الأحوال إلى إنشاء نظرية أو قانون عام. وإن كان هذا الهدف يبقى هدفا ساميا ..

ما معنى مشكلة بحث؟ *qu'est ce qu'un problème de recherche ?*

تعرف "المشكلة" (*problème*) بأنها: «ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب»[11], وبالتالي فإن "مشكلة بحث" هي سؤال مطروح يتطلب حلا. إن إنجاز مشروع بحث لا يعني فقط جمع معلومات مكتوبة من أجل تلخيصها، بل في الحقيقة توجد مشكلة بحث عندما نحس بضرورة تقليص الفارق بين ما هو كائن وبين ما نأمل أن يكون, بعبارة أخرى، فإن "مشكلة بحث" تعني وجود فجوة لابد أن نملأها في مجال المعرفة.

(*un problème de recherche est un écart à combler dans le domaine de nos connaissances*)[12] وبالتالي يصبح البحث بالنتيجة "نشاطا لحل المشاكل" من أجل تقدم المعارف.

مشكلة البحث هي إذن: [13]

- تساؤل interrogation
- ينشأ من فارق (écart) بين وضعية المعارف الحالية والوضعية المرجوة
- وهذا الفارق هام (écart important) لـ:

- ❑ تطبيق منهجية جادة (méthodologie rigoureuse) للوصول إلى:
- ❑ وضعية جديدة للمعارف (nouvel état de connaissance) أكثر قربا من الحقيقة.

تجدر الإشارة إلى أن هناك أنماطا لمشكلة البحث نذكر منها:

- المشكلة الواقعية: مثل الوضعيات الاجتماعية الصعبة أو المشاكل التقنية..
- المشكلة الامبريقية: أي غياب معارف حول ظاهرة ويمكن إيجاد تفسيرات لها بالملاحظة والتجريب.
- مشكلة تتعلق بالمفاهيم: أي إيجاد تعريف دقيق لمصطلح ما أو تحديد معناه بدقة (مثلا التحديد الدقيق لمفهوم "ايديولوجية")
- مشكلة نظرية: وهي التي تتعلق بشرح ظاهرة أو تقييم نظرية (مثلا تحديد أسباب عدم المساواة بين الأجناس البشرية)

ما معنى إشكالية بحث؟ *qu'est ce qu'une problématique de recherche ?*: تتعدد التعاريف المعطاة للإشكالية ويمكن أن نسوق فيما يلي بعضا منها: "هي مجموعة أسئلة مطروحة في ميدان علمي".[14] "الإشكالية هي سؤال مهيكل".[15] "هي نص قصير يعرض للقارئ مشكلة البحث".[16] "مجموعة أسئلة يطرحها الملاحِظ العلمي حول ظاهرة ما، تحتاج إلى إجابة منطقية قابلة للمراقبة, وتمنح إمكانية القيام بعمليات منظمة حسب السلوكات التي تبديها الظاهرة أو المسار الذي تأخذه"[17]

نلاحظ أن هذه التعاريف اعتبرت الإشكالية عبارة عن سؤال أو أسئلة مطروحة في حقل علمي معين، ويمكن القول أنها أخذت المعنى الضيق للإشكالية، حيث هناك تعاريف أعطت معنى أوسع من ذلك، حيث تَعتَبر الإشكالية نسقا متكاملا لطرح مشكل بحث . فنجد معجم اللغة الفرنسية الذي سبقت الإشارة إليه أعلاه في طبعته لعام 2000 وسع المعنى الذي أعطاه للإشكالية في طبعته السابقة وعرفها بأنها " فن,علم طرح المشاكل". وعرفها البعض بأنها "عرضٌ لمجمل المفاهيم، النظريات، الأسئلة، المناهج، الفرضيات والمراجع التي تساهم في توضيح وتطوير مشكلة بحث".[18] تعني "إشكالية بحث" مجمل

العناصر التي تقودنا إلى طرح "مشكلة". وبالتالي فإن "الإشكالية" تستند إلى "المشكلة" وتأخذ في الاعتبار عناصر أخرى (الوقائع، الملاحظات, المعارف النظرية، نتائج البحوث السابقة). بعبارة أخرى فإن: طرح إشكالية بحث يعني ربط مشكلة بعدد من المعارف التي تعرضت سابقا لجزء من الحقيقة المدروسة. بذلك يتضح أن الإشكالية ليست هي المشكلة بل تشكل هذه الأخيرة جزءا فقط من الإشكالية كما يوضح ذلك الجدول التالي:

جدول رقم 01: مكونات إشكالية بحث

	إشكاليـة البحـث
	أ.موضوع البحث: – أي مُتَعَلَّق البحث أو: حول ماذا نبحث؟
مثال	**التسرب المدرسي لأطفال الأولياء المهاجرين إلى كندا.**
	ب.مشكل البحث: **– أي التعبير عن الحالة التي دفعت الباحث للتفكير في القيام بالبحث : عن ماذا نبحث: عن تفسير أو فهم أكثر؟**
مثال	**يهتم الباحث بإيجاد علاقة بين التسرب المدرسي والسن التي هاجر فيها الأطفال إلى كندا.**
	ج.سؤال البحث: – أي طرح مشكل البحث تحت صيغة سؤال: عن أي سؤال تريد أن تجيب؟
مثال	**هل كلما كان أطفال الأولياء المهاجرين إلى كندا صغارا زَمَن هجرتهم إلى كندا كلما قلت نسبة تسربهم من المدرسة**
	د.فرضية البحث: – أي توجيه نتائج البحث : ما هي النتائج التي تترقب الحصول عليها؟
مثال	**أطفال الأولياء المهاجرين إلى كندا يتسربون بنسبة أقل إذا كان دخولهم إلى كندا قبل سن خمس سنوات.**

Source : Donald Long, op. cit. , p :04.

5– مراحل إعداد إشكالية جيدة للبحث: بشكل عام يمكن أن نميز ثلاث مراحل كبرى لإعداد إشكالية جيدة للبحث وهي:[19]

- **إيجاد سؤال عام للبحث**
- **تحليل السؤال العام**
- **استخراج وصياغة سؤال نوعي للبحث**

5–1 إيجاد سؤال عام للبحث:

5–1–1 مصادر فكرة البحث: أول عقبة تواجه الباحث عن إشكالية جيدة هي: من أين أحصل على فكرة البحث؟ ذلك أن البحث يمر في ذهن الباحث أولا على شكل أفكار قبل أن يتمكن من تجسيده في شكل بحث متكامل. بالنسبة للطالب فإن اختيار سؤال عام للبحث يفرض عليه استشراف المعارف حول الموضوع المختار بالمطالعة, أما الباحث المتخصص فإن مواضيع البحث متوفرة أمامه لأنه يواجه مشاكل بحث عامة بصفة دائمة. وعلى العموم يمكن أن نشير إلى المصادر التالية التي يمكن للباحث أن يستقي منها فكرة البحث:[20]

أ. التجربة الشخصية والملاحظة: إن الحياة اليومية بمختلف ميادينها، سواء في مكان العمل، في الجامعة أو في أي مكان آخر تمكننا دائما من ملاحظة مشاكل تفتح أفقا لأفكار يمكن معالجتها في شكل بحوث علمية. فعلى سبيل المثال يمكن أن يلاحظ طالب أنه في كل مرة يمارس فيها عملا جماعيا فإن نفس ديناميكية الفوج في العمل تتحقق دائما، سواء من حيث تنظيم العمل، أو من حيث توزيع السلطة والمهام بين أعضاء الفوج، إذن يمكن لهذا الطالب أن يتساءل هل هذا الأمر يحث بمحض الصدفة أو هو ظاهرة منتظمة؟ وإذا كان كذلك فهل هذه الظاهرة تنتج أيضا في المؤسسات عند إنشاء أفواج عمل؟ وما هي العوامل التي تؤثر على هذه الديناميكية؟...

ب. المطالعة المنظمة: إن المطالعة المنظمة تشكل أحسن وسيلة لاكتشاف الظواهر التي تفتح أفقا لتساؤلات تكون محل بحوث علمية قيّمة, ولكن يجدر التنبيه إلى بعض الملاحظات المبدئية الواجب الأخذ بها لتجنب ضياع الوقت والجهد سدى:

- فعلى الباحث أولا أن يحدد المجال العلمي الذي يرغب المطالعة والبحث فيه، هل حقل الموارد البشرية، أو التنمية الاقتصادية، أو التخطيط الاستراتيجي على سبيل المثال.

- ثم عليه مطالعة المجلات العلمية المتخصصة في هذا الحقل العلمي بالذات، وهذا ما يسمح له بدايةً بمعرفة أفكار طرحها باحثون سابقون انطلاقا من شرح أو مناقشة نظريات مختلفة, وقد يتيح له كذلك استكشاف أن نظرية ما لم تُبحث إمكانية تطبيقها من عدمه في ظروف خاصة تشكل اهتماما بالنسبة إليه. (مثلا يمكن أن نجد أن نظرية في المناجمنت طبقت في المؤسسات الكبرى ولم تُبحث إمكانية تطبيقها في الؤسسات الصغيرة والمتوسطة (PME). أيضا يمكن أن تتيح المطالعة للباحث ملاحظة وجود نتائج مختلفة ومتباينة لبحوث أجريت على نفس الموضوع، وهذا ما يدفعه إلى الاهتمام بمعرفة الأسباب وراء هذا التباين (اختلاف العينات، قياسات مختلفة لنفس المفهوم...) والبحث في كيفية التوفيق بين هذه النتائج, وفي أي ظروف يمكن تحقيق هذا التوفيق بينها. من ناحية رابعة, يمكن أن يتساءل الباحث حول الطريقة المنهجية التي عُولج بها موضوع ما, وهل يؤدي تغيير الاقتراب المنهجي إلى نتائج مشابهة أو نتائج جديدة؟ هل يمكن تحسين مستوى فهم وتشخيص الظاهرة التي كانت محل البحث المُطالَع؟

ج. المشاكل الواقعية: في بعض الأحيان قد يأتي المشكل إلى الباحث من تلقاء نفسه، كما نجد ذلك في حالة مسيِّري المؤسسات الذين يتصلون بباحثين متخصصين من أجل إفادتهم بحلول لمشاكل تسيير تعاني منها المؤسسات التي يشرفون عليها (مثلا يمكن أن يطرح المسيّر للباحث قلقه من تزايد ظاهرة "الغيابية" في أقسام الإنتاج, وهنا يقود الباحث دراسة معمقة للعوامل الحقيقية التي تقف وراء هذه المشكلة, والعلاقات بين هذه العوامل, مع ضرورة التنبه إلى أن المشكل المطروح للباحث من طرف المسيّر قد لا يكون بالضرورة مشكلا "حقيقيا" بل عارضًا من عوارض المشكل الحقيقي، (ففي مثالنا السابق قد تكون "الغيابية" عارضا فقط من عوارض تدني مستوى التحفيز في العمل بقسم الإنتاج أو من عوارض تدهور شروط العمل بهذا القسم)

5–1–2 معايير اختيار أحسن فكرة البحث:

أ. الرغبة الشخصية للباحث في معالجة الموضوع: إن هذا المعيار يعتبر من دون شك معيارا حاسما، ذلك أن الباحث سيعيش مع بحثه لشهور، لذلك لابد أن يضمن من

الأول رغبته في معالجته حتى لا يتعرض لخطر فقد الشجاعة أثناء تلقي صعوبات أثناء البحث.

ب. توفر المعلومات حول الموضوع: بعض الأفكار قد تكون جيدة وهامة جدا ولكن لا يمكن متابعة معالجتها بشكل ناجح بسبب قلة أو عدم توفر المعلومات حولها. وغياب المعلومات قد يرجع لسبب أنها معطيات سرية لا يمكن الوصول إليها, كما يمكن أن يعود إلى احتكار المعلومة من طرف المسيَّرين،أو إلى كون المعلومات الرئيسية غير موجودة أصلا.

ج. الفائدة الاجتماعية للموضوع: قد يكون من السهل على الباحث أن يحصل على دعم ومساعدة لإنجاز مشروع بحثه إذا اختار موضوعا يشكل فائدة للمجتمع ويساهم في تقدم المعارف في مجال واقعي مَعِيش. أيضا بمجرد أن البحث يعالج مشكلة تواجهها مؤسسات عدة فإن ذلك يعظم حظوظه في النشر والحصول على مساعدات مالية.

5-2 تحليل السؤال العام :

وتعني هذه الخطوة تحصيل نظرة عامة على المعطيات المتوفرة حول السؤال العام، بعبارة أخرى فهم الإجابات المقدمة للسؤال العام من طرف الباحثين السابقين. ويستدعي تحليل السؤال العام القيام بأربع عمليات أساسية:

أ-فحص السؤال العام بالأسئلة النوعية: تعني هذه العملية الإحاطة بالموضوع من خلال توجيه جملة من الأسئلة النوعية نذكر بعضها فيما يلي:

جدول رقم 02: الأسئلة التي يوجهها الباحث للمشكل العام بغية تحليله حسب نمط التدخل الذي يرغب فيه

إذا كان الأمر يتعلق بفهم الظاهرة (تشخيص/تفسير)	**إذا كان الأمر يتعلق بإنتاج حقائق جديدة (التدخل)**
- متى نشأت الظاهرة؟ أين نشأت؟ - كم مرة حدثت؟ كيف حدثت؟ - من هم المعنيون بها؟ ما هي مختلف جوانبها؟ - لماذا حدثت؟	**- كيف نقيم الوضعية قبل التدخل؟ (أي ما هي وضعية الحقيقة التي يجب أن نعمل عليها؟) - ما هي وسائل التدخل؟ كيف يمكن أن نطبقها؟**

- ما هي الأسباب؟ وما هي العوارض؟ **- ما هي آثارها؟**	**- ما هي أنماط التدخل؟ لماذا نتدخل؟** **- كيف نقيم نتائج التدخل؟ (أو ماهي وضعية الحقيقة بعد التدخل؟)**

Source : A.BENDIABDELLAH, cours de méthodologie de la recherche en sciences sociales,université de Tlemcen, 2004–2005.

ب . تشخيص المتغيرات والعلاقات: وتعني هذه العملية:

- **تحديد المتغيرات الدائمة في المشكل المدروس (تشخيص الجوانب المشكلة للسؤال). ويعني المتغير عاملا يأخذ عدة قيم مثل: السن (20 سنة, 25 سنة, 30 سنة...)، الجنس (ذكر . أنثى) ، محيط اجتماعي (حضر . ريف) ...**
- **ثم تحديد العلاقة بين المتغيرات، كأن نقول في مثالنا السابق:**
  - **الجنس ليس له علاقة بتكرر "الغيابية" لأن النساء يتغيبن بنفس نسبة تغيب الذكور**
  - **أو العكس توجد علاقة لأن النساء يتغيبن أكثر من الذكور**
  - **أو توجد علاقة شرطية: النساء يتغيبن أكثر من الذكور فقط إذا كن متزوجات ..**

ج . تنظيم المتغيرات والعلاقات: بعد عملية تشخيص المتغيرات والعلاقات تأتي عملية تنظيمها في هيكلة متوافقة لبيان تفاعلها, وهذا ما توفره النماذج والنظريات.

د . ضبط المفاهيم: إذا كان المتغير يشير إلى حقيقة معطاة يمكن أن تأخذ عدة قيم، فإن المفهوم يشير إلى وصف تجريدي يضم الجوانب الثابتة لهذه الحقيقة. بذلك يتضح الفرق بين المتغير "variable" والمفهوم "concept". وفي إعداد البحث يتحول المفهوم إلى متغير عندما يقرر الباحث ملاحظة ومتابعة السلوكات الواقعية.[21] إن الباحث . وهو بصدد إعداد إشكالية بحثه . يجب عليه أن يضبط المفاهيم التي يدرسها حتى يقلل الأخطاء التي يمكن أن تعترض تواصله مع الباحثين الآخرين.

3–5 اختيار سؤال نوعي للبحث: إذا ما تم اختيار سؤال عام للبحث (المرحلة الأولى)، وإذا كانت المتغيرات والعلاقات مشخصة والمفاهيم مضبوطة والنظريات محددة (المرحلة الثانية)، فقد بقي للباحث أن يجد سؤالا نوعيا للبحث (المرحلة الثالثة)، ثم يقوم

بصياغته بمعايير جملة من الأمور.

أ – إيجاد السؤال النوعي: تستدعي هذه الخطوة أن يستثمر الباحث التحليل الذي قام به في المرحلة الثانية من أجل تنظيم قراءة نقدية لما بين يديه من معطيات، وبالتالي يبحث:

- **هل التعميمات والتأكيدات المقدمة صحيحة؟**
- **هل هناك براهين ملموسة تستند إليها هذه التأكيدات؟**
- **هل البراهين. إن وُجدت. صحيحة أو مقبولة أصلا؟ ...**

❑ **مثال1: الغياب التام أو الجزئي للبحوث التي تعرضت للمشكل المختار.**

بعد تنظيم مطالعات حول "وضعية الاستثمار الأجنبي غير المباشر إزاء السياسات النقدية المتخذة في ظل إصلاحات توجه الاقتصاد الجزائري إلى اقتصاد السوق" لاحظ الباحث عدم وجود بحوث حول هذا السؤال، فالسؤال النوعي إذن يمكن أن يصاغ مباشرة كالتالي : "ما مدى تأثير سياسة أسعار الفائدة على الاستثمار الأجنبي غير المباشر بالجزائر؟"

❑ **مثال2: استحالة تعميم استخلاصات بحوث سابقة على وضعية خاصة.**

لاحظ باحث مهتم بميدان التخطيط الاستراتيجي من خلال مطالعاته أن أغلبية البحوث التي تعرضت للتخطيط الاستراتيجي في المؤسسات الكبرى توصلت إلى نتيجة مفادها وجود علاقة طردية بين مستوى التخطيط الاستراتيجي والأداء. لكن هذا الباحث يعرف العديد من مسيري المؤسسات الصغيرة والمتوسطة (PME) الناجحين، حيث يرجع نجاحهم إلى شخصيتهم ومعرفتهم المباشرة وليس إلى مستوى التخطيط الاستراتيجي، إذن يظهر هنا تناقض بين النظرية المقترحة من طرف الباحثين السابقين الذين أجروا بحوثهم على مؤسسات كبرى، من جهة، والحقيقة الملاحظة من طرف هذا الباحث، من جهة أخرى. إذن السؤال النوعي الذي يمكنه معالجته هو "ما هي العلاقة بين مستوى التخطيط الاستراتيجي ومستوى الأداء بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة ؟"

ب. صياغة السؤال النوعي: بعد إيجاد السؤال النوعي لابد من صياغته بطريقة دقيقة بحيث يكون كل لفظ محدد بطريقة موضوعية حتى يمكن ملاحظته وقياسه. وفي هذا

الإطار لابد أن يراعي الباحث جملة من الأمور منها:

- **اجتناب الأخطاء النحوية والصرفية.**
- **الابتعاد عن طول العبارة الذي يفضي إلى الحشو بغير ضرورة، إذِ العبرة بالدقة لا بطول العبارة.**
- **الابتعاد عن التراكيب الغامضة والألفاظ المطاطية غير القابلة للقياس أو التحقق منها.**
- **التحديد الزماني والمكاني له دور كبير في إضفاء صفة الدقة على الصياغة ومن ثَمّ على البحث كله.**

الهوامش

[1] عمار عوابدي، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1987, ص: 18.

[2] اسماعيل شعباني،منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، (بدون دار ولا بلد النشر)، ط 1، 2005، ص: 26.

[3] **Comment trouver une problématique à partir d'un sujet, le site : http://www.ses.ac-aix-marseille.fr/prodacad/evaluation/methodologie/ecrit/problematique.pdf (10/08/2008)**

4 Dambois G., «de l'idée de recherche au problème et à la question de recherche», à partir du site : http://www.fsa.ulaval.ca/personnel/DamboisG/liv1/chap1.pdf (02/08/2008)

[5] محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2000، ص: 24.

[6] محمد عبد الغني سعودي وآخر, كتابة البحوث العلمية، مكتبة الأنجلو مصرية، 2007، ص:38.

[7] محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص: 25.

[8] **Donald Long, Définir une problématique de recherche, Mars 2004, pp :16-17.**

[9] يُنظر لمزيد من التفصيل: . محمد عبد الغني سعودي، مرجع سابق، ص: 38.

[10] من الموقع

http://www.arrabe.com/modules.php?name=news&file=article&sid=4761.

[11] **خالد الهادي وعبد المجيد قدي، المرشد المفيد في المنهجية وتقنيات البحث العلمي، دار هومة، الجزائر, سبتمبر 1996، ص: 75.**

[12] **A.BENDIABDELLAH, cours de méthodologie de la recherche en sciences sociales, université de Tlemcen, 2004-2005.**

[13] **Donald Long, op. cit, p: 23.**

[14] **Le Petit Robert, dictionnaire de la langue française, édition 1994, p : 1016.**

[15] **Comment trouver une problématique à partir d'un sujet, op. cit., p :01.**

[16] **« construction de la problématique», à partir du site :** http://www.collegeahuntsic.qc.ca/pagesdept/sc_sociales/psy/methosite/consignes/pro. (02/08/2008)

[17] **« problématique/problématiser/problématisation/problème », à** partir du site : http://www2b.ac-lille.fr/arts-plastiques/lecon_2005/problem.pdf (11/08/2008)

18 «le problème de recherche et la problématique», à partir du site : http://www.cheneliere.info/cliles/complementaire/complementaire_ch/fichiers/coll_uni/probleme_recherche.pdf **(02/08/2008)**

[19] **pour plus de détails voir : A.BENDIABDELLAH, op. cit.**

[20] **Dambois G., op. cit. p p :06-08**

[21] **Dambois G., op. cit. p :06.**